

المحاضرة الثانية: حضارات الجزائر فيما قبل التاريخ

تمهيد:

أثبتت الدراسات الحديثة أن حضارات إنسان ما قبل التاريخ التي اكتشفت في العالم كانت مختلفة الصفات ولم تكن متشابهة بالقدر الكافي مع بعضها البعض كما كان يعتقد في الماضي، بل لقد بلغت درجة الاختلاف بينها حدا كبيرا أدى بالباحثين إلى عدم الاستمرار في اتباع المنهج الفرنسي المتمثل في التقسيمات الحضارية التي وضعها هؤلاء الباحثون دون توضيح الميزات المحلية لكل منطقة وخصائص كل حضارة، ورغم هذا التباين فإن الدارس...

أولا-مراحل العصور ما قبل التاريخ:

تعتبر فترة ما قبل التاريخ حقبة زمنية طويلة جدا في تاريخ البشرية، بدأت منذ ظهور أول إنسان على الأرض قبل حوالي 2.5 مليون سنة، واستمرت حتى اختراع الكتابة في الحضارة السومرية القديمة حوالي عام 3200 قبل الميلاد. وخلال هذه الفترة الممتدة، تطور الإنسان بشكل كبير من حياة الصيد وجمع الثمار إلى الزراعة واستئناس الحيوانات، كما اخترع الأدوات الحجرية والمعدنية وبدأ في بناء المستوطنات الأولى. ويعتمد المؤرخون في دراسة هذه الفترة على الآثار المادية التي تركها الإنسان القديم، مثل الأدوات والرسومات الصخرية والهياكل العظمية، حيث لم تكن هناك سجلات مكتوبة في ذلك الوقت.

1-مراحل العصور الحجرية Stone Ages :

1.1-العصر الباليوليثي paléolithique (العصر الحجري القديم): ويعني الفترة القديمة للصناعات الحجرية التي تمتد من حوالي 2.3 مليون سنة إلى حوالي 12 ألف سنة ق.م، وينقسم العصر الحجري إلى ثلاث فترات متفاوتة الزمن:

- **العصر الباليوليثي الأسفل:** يعتبر أقدم فترات الصناعات الحجرية وفيه مرحلتين: الباليوليثي القديم جدا الذي يمتد من حوالي 2.3 مليون سنة إلى حوالي 1.4 مليون سنة، والباليوليثي القديم الذي يمتد من حوالي 1.3 مليون سنة إلى غاية 0.1 مليون سنة ق.م وفيه تطورت الصناعة من حجرية إلى أشولية سواء كانت تحتوي فؤوس يدوية أولا، وبالتالي شهد تطور الحضارة الأشولية.
- **العصر الباليوليثي الأوسط:** يقترن وجوده بالحضارة المستيرية لمدة قصيرة جدا لتعوض بحضارة محلية تسمى الحضارة العاترية، وهذه الفترة تمتد من حوالي 100 ألف سنة إلى 37 ألف سنة ق.م في أوروبا ويتواصل إلى حوالي 20 ألف سنة ق.م في بلاد المغرب.
- **العصر الباليوليثي الأعلى:** عرف صناعات حجرية معقدة لتعدد الحضارات في منطقة واحدة وعلى الأرجح لا يوجد لأي حضارة في بلاد المغرب خلال هذه الفترة.
- **العصر ما بعد الباليوليثي:** وهو العصر الحجري القديم المتأخر، وهو فترة حضارية مهمة في تاريخ بلاد المغرب تميزت بظهور صناعة حجرية قزمية دقيقة الصنع وصناعة عظمية. ونشأت خلالها حضارتين هما: الحضارة

مقياس تاريخ الجزائر 1.....د.كوندة سلمى

الإمبرمورية أو الحضارة الوهرانية وموطنها في الغالب السواحل المتوسطية، والحضارة القفصية وتتركز بالمناطق الداخلية.

2.1-العصر الميزوليثي (العصر الحجري الوسيط): ويمتد من 12 ألف سنة ق.م إلى 8000 سنة ق.م وهو فترة حضارية قصيرة انتقالية تتوسط الباليوليتي والتولييتي مظاهرها تبرز في أوربا وتنعدم في بلاد المغرب، تتميز بصناعة حجرية قزمية دقيقة الصنع.

3.1-العصر النيوليتي (العصر الحجري الحديث): ويمتد من 8000 سنة ق.م إلى غاية 5000 سنة ق.م وهو آخر العصور الحجرية يتصف بعدة خصائص تجعله متميز عما سبقه، إذ حدثت به تغيرات جذرية في حياة الإنسان ونمط معيشتة، وتميز بظهور أدوات حجرية جديدة وتقنيات صناعة الأواني الفخارية لتخزين الحبوب والسوائل التي أنتجها الإنسان النيوليتي بعد اكتشافه للزراعة واستأناسه بالحيوانات.

وفي بلاد المغرب توجد العديد من مظاهر هذا العصر، وبنهاية هذا العصر جاء عصر المعادن المتمثل في العصر النحاسي والبرونزي والحديدي والامتد من 5000 سنة ق.م إلى 3000 سنة ق.م. (سحنوني، 1999، صفحة 82)

4.1-عصر المعادن:

دراسات قليلة جدا اهتمت بفترة التعدين القديم في إفريقيا، فبالنسبة لشمال إفريقيا لم يتحدث الباحثون على هذه الفترة أو نفي وجود عصر النحاس والبرونز تماما وخاصة في الجزائر وتونس حتى مجيء الفينيقيين تقريبا في القرن 12 ق.م، على عكس المغرب توجد بها بعض آثار العصر النحاسي.

ثانيا-أنواع الحضارات ما قبل التاريخ في الجزائر:

مما سبق عرضه حول العصور الحجرية ما قبل التاريخ يمكننا التفصيل أكثر في أبرز الحضارات القديمة التي مرت بالجزائر والمتمثلة فيما يلي:

1-الحضارة الأشولية:

استخدم الإنسان في فجر هذا العصر حجر الصوان في صناعة أدواته وكانت على شكل قطع مسطحة ذات حواف مسننة نتيجة عملية التشظية عرفت بالأداة ذات الوجهين، وكان الإنسان يستخدم في صناعة هذه الآلات تقنيات مختلفة، وقد تطورت هذه الصناعة الحجرية بعد ذلك فظهرت الفأس اليدوية التي تميزت بشكلها الكمثري وجوانبها الحادة غير المنتظمة، وإذا كان العلماء قد شككوا في بداية الأمر أن تكون مثل هذه الأدوات من صنع الإنسان إلا أن ازدياد العثور على مثل هذه الأدوات وبكميات كبيرة في أماكن مختلفة وإلى جانب بقايا حيوانية لم تدع مجالا للشك في أنها ليست من صنع الطبيعة، وتنتهي هذه الصناعة إلى ما يعرف بالحضارة الأشولية نسبة إلى موقع سانت أشول بفرنسا الذي تم الكشف فيه على هذه الفؤوس الحجرية لأول مرة، وتسمى أدواتها باسم صناعة النواة، لأنها كانت تصنع مباشرة من نواة الصوان، حيث يقوم الإنسان بإدخال بعض التحسينات على وجهيها عن طريق الطرق قصد الحصول على حافة حادة أما زمنيا فتعتبر من حضارات العصر الحجري القديم الأسفل.

المحاضرة الثانية: حضارات الجزائر فيما قبل التاريخ © 2024 by د.كوندة سلمى - CC BY-NC is licensed under

[SA 4.0](#)

مقياس تاريخ الجزائر 1.....د.كوندة سلمى

ظهرت هذه الصناعة الأشولية أول الأمر في إفريقيا الشرقية ثم انتشرت فيما بعد في إفريقيا الشمالية والشرق الأوسط وتوسع مجالها بعد ذلك ليشمل مختلف مناطق أوروبا وقد عثر على آثار هذه الحضارة في عدد من المواقع في الجزائر كعين الكرمة جنوب مدينة الشلف التي تقع غرب الجزائر، ومجرمارتين ودوبري، وعين فريطسة، وعين الحنش الذي يقع على بعد تسعة كيلومترات إلى الشمال الغربي من مدينة العلمة بولاية سطيف في الشرق الجزائري والذي يحتضن ثاني أقدم صناعة حجرية في العالم أرخت بـ 2.4 مليون سنة بعد أثيوبيا بـ 2.6 مليون سنة.

نماذج عن أدوات حجرية أشولية وجدت بالجزائر:



2-الحضارة المoustيرية:

استمدت الحضارة المoustيرية اسمها من موقع مoustier (بالدردون¹ Dordogne بفرنسا)

وإذا كان مكان نشأة هذه الحضارة غير واضح عند الباحثين فإن فليري يرى أنها نشأت في أواسط آسيا حيث ظهرت أدوات يمكن أن نسميها ما قبل المoustيرية حملها أصحابها النياندرتاليون Neanderthal (الإنسان العاقل) معهم في هجراتهم إلى أوروبا من جهة وإلى إفريقيا عن طريق منطقة السهوب الآسيوية من جهة ثانية. ويعود ظهور الحضارة المoustيرية في أوروبا إلى حوالي 200 ألف سنة قبل الميلاد في بعض المناطق، واستمرت إلى غاية 40 ألف سنة، فهي بذلك تغطي كامل العصر الحجري القديم الأوسط، في حين يرجع الباحثون انتشارها في شمال إفريقيا إلى ما بين 80.000 و 50.000 سنة قبل وقتنا الحاضر. ويمكن حصر أدواتها المصنعة من الشظايا الصوانية الدقيقة المشذبة والمذببة الأطراف، في مختلف الاستخدامات اليومية كالسكاكين، والمحكات، والمكاشط ذات الحافة، والأدوات المسننة، وانتشرت هذه الصناعة في كامل إفريقيا الشمالية والصحراء.

وأما من الناحية الأنثروبولوجية فقد حدث تطور كبير في هذه الفترة، حيث ظهر إنسان نياندرتال الذي يعتبره المختصون أقدم أجداد الإنسان الحالي. لقد وسع هذا الكائن البشري دائرة انتشاره لتشمل مناطق واسعة من العالم حيث بلغ مناطق شمال أوروبا وشرق آسيا ومناطق مجاورة للمناطق الاستوائية في إفريقيا لم يدخلها أحد قبله، حقق فيها تقدما على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي معتمدا على تراث سابقه ومضيفا إليه الانجاز تلو الآخر إلى أن أصبح أكثر تطورا.

أما حضاريا فإن هذه الفترة في شمال إفريقيا بدت للباحثين غير واضحة المعالم حيث لم يتوصلوا إلى التعرف عليها بشكل جيد وأن أهم ما يميزها خصوصا أدواتها البسيطة التي تتضمن الشظايا، والتي تشبه في مظهرها العام المoustيرية

¹منطقة الدردون: هي منطقة جرت فيها أول دراسات ما قبل التاريخ وأهمها.

مقياس تاريخ الجزائر 1.....د.كوندة سلمى

الأوروبية. وقد ساد الاعتقاد لدى العديد من الباحثين بعدم وجود مثل هذه الحضارة في بلاد المغرب لكونها لا تختلف كثيرا عن الحضارة العاترية، وعلى الرغم من قلة مواقعها في الصحراء التي من بينها موقع قرب "إنكيير"، وموقع آخر في "تين تمات" في الهقار، أما في الطاسيلي فقد وجدت في "تين هناكتن" و"تيوريرين"، كما وجدت في الصحراء الشمالية قرب غرداية وفي متليلي. فإن ما تضمنه موقع واحة بريزينة في شمال الأطلس الصحراوي من مستويين حضاريين متميزين تفصل بينهما طبقة من الرمال الخشنة والحصباء. تكشف محتويات المستوى السفلي عن صناعة شظية خشنة ذات تقنية "لافلوازية" وحجارة مشدبة، بينما تضمن المستوى العلوي بقايا صناعة عاترية، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على التتابع الحضاري في الجزائر وغناه. والجدير بالذكر أن الفضل في التمييز بين الحضارتين يرجع إلى الباحث ب.أستورج.



3- الحضارة الإيرومغربية (الحضارة الإيروموريسية أو الحضارة الوهرانية):

يعود الفضل في اكتشاف موقع المويلح بالغرب الجزائري قرب مدينة مغنية إلى الباحث بول بالاري (P.Pallary) الذي زار المنطقة خلال سنة 1899، ثم لاحظ أدواتها الميكروليتية، وقد شرع في تنقيب الموقع للمرة الأولى سنة 1907 على يد الباحث باربان Barbin سنة 1919م، وتعود تسميتها بالإيرومغربية إلى اعتقاد الباحثين الذين درسوا أدوات الموقع بأنها ذات صلة بحضارة العصر الحجري القديم الأعلى في شبه الجزيرة الإيبيرية. (غانم، 1999، صفحة 115)

كما أن دراسات الباحث الفرنسي فوفري R.Vaufrey وتحرياته التي قام بها في عدة مواقع بالجزائر جعلته يفضل تسميتها بالحضارة الوهرانية نسبة إلى الإقليم الجغرافي الذي اكتشفت فيه، إلا أن هناك من الباحثين من يرى في استعمال هذا المصطلح نوع من التقزيم لهذه الحضارة، وتقيد لمجالها الجغرافي الذي اتضح في ما بعد أنه امتد على طول الساحل الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط من خليج قابس بتونس إلى شواطئ المحيط الأطلسي، ورغم عدم دقة التسمية الأولى المتمثلة في مصطلح الإيرومغربية إلا أن تداولها بين الباحثين في البدايات الأولى لاكتشافها جعلها تنتشر بسرعة وتطغى

مقياس تاريخ الجزائر 1.....د.كوندة سلمى

على الوهرانية، فدرج الباحثون على استعمالها مما أدى إلى ترسخها أكثر في الأوساط العلمية. 1100- 400 سنة قبل الميلاد إلى حوالي 5000 سنة قبل الميلاد .

وتتميز الصناعة الأيبرومغربية بكثرة الشفرات الصغيرة المهدبة الحافة بواسطة التنقيحات القوية، وبدون شك فهي عبارة عن تقنية عامة طبقت في الأدوات ذات الاستعمالات المختلفة، كما يغلب على هذه الأدوات الميكروليثية الطابع الهندسي، وغلبة النصال الصغيرة إلى جانب بعض الأدوات الكبيرة التي غالبا ما ترافقها، كما يسجل حضور صناعة النواة الحجرية الصغيرة ذات النماذج المختلفة والتي طبقت عليها نفس التقنية الصناعية. وتتمثل الأدوات الأيبرومغربية في المكاشط القصيرة والسميكة في نفس الوقت والتي كثيرا ما يتم صنعها من النوى الحجرية الصغيرة، أما الأزاميل فهي بسيطة ونادرة. وتعد صناعة العظام أكثر تنوعا في الحضارة الأيبرومغربية من الأدوات الحجرية فقد صنع هؤلاء الأقوام من البشر الذين ينسبون إلى نوع إنسان مشقى العربي - الذي عثر على العديد من بقايا هيكله العظمية في مقابر جماعية في موقعي كلومناطة وأفالو بورمل - من العظام السكاكين، والمحكات، والدبابيس، والخطافات، والرماح. ويعد السكين الشيء الأكثر تميزا في هذه الأدوات فهو متطاوّل الشكل ومسطح، له حافة مستقيمة، وقاعدة مستديرة. هذا بالإضافة إلى الإبر العظمية البسيطة، وعدد كبير من أدوات الزينة تمثلت في القواقع التي تزيناها في الغالب مواد معدنية ملونة. وتقسم الأدوات العظمية من حيث أوجه نهاياتها إلى ثلاث مجموعات رئيسية هي:

- أدوات ثاقبة ذات نهاية حادة.
- أدوات مثلثة ذات نهاية ملساء أو دائرية.
- أدوات قاطعة ذات حد مائل.

وعن صناع هذه الحضارة يرى بعض الباحثين أنهم أحفاد المغاربة ما قبل الإنسان العاقل، في حين يرى البعض الآخر أنهم جاءوا إلى هذه المنطقة من بلاد الشرق الأوسط. وهم أقوام يغلب عليهم طابع الاستقرار أكثر من الترحال، احترفوا القنص وجمع القواقع الحلزونية. (وزارة المجاهدين وذوي الحقوق، ما قبل التاريخ: الحضارة الوهرانية (الأيبرومغربية)، (2024)

4--الحضارة العاترية

اكتشفت البقايا الحجرية لهذه الصناعة لأول مرة في موقع وادي جبانة بالقرب من دائرة بئر العاتر بولاية تبسة سنة 1917م على يد الباحث ريجاس (Reygasse)، غير أن دراسته لم تتم إلا في عام 1974م من طرف ج. موريل (J. Morel) وقد تمثلت خصوصية هذا الموقع في احتوائه على أدوات حجرية تعود إلى العصر الحجري القديم الأوسط (مكاشط وأدوات مسننة) جنبا إلى جنب مع أدوات أخرى تعود إلى العصر الحجري القديم الأعلى كالمكاشط المسطحة، وأدوات أخرى كثيرة ذات سيقان. وقد انطلت هذه الميزة على أغلب مواقعها إلى درجة أن تدخل هذه الأدوات الحجرية جعلها متشابكة ومظلمة. وقد عرفت هذه الحضارة بادئ الأمر باسم حضارة وادي جبانة نسبة إلى الموقع الذي اكتشفت فيه الأدوات الحجرية الأولى لهذه الحضارة، ثم أصبحت تعرف فيما بعد بالحضارة العاترية.

مقياس تاريخ الجزائر 1.....د.كوندة سلمى

يعيد المختصون ظهور الحضارة الأشولية إلى نهاية العصر الحجري القديم الأسفل وبداية العصر الحجري القديم الأوسط، ويرجح علماء ما قبل التاريخ أن تكون الحضارة العاترية قد تطورت عنها، إلا أن بحوثا علمية أخرى أكدت أن الحضارة العاترية استمدت أصولها من المسترية التي سبقتها اعتمادا على التشابه الموجود بينهما. وتعتبر الحضارة العاترية من أقدم حضارات الإنسان العاقل، حيث شغلت الفترة ما بين 45,000 إلى حوالي 20,000 سنة ق م.

كانت بيئة هذه المنطقة الجغرافية في تلك الفترة تميزها الغابات المطيرة الكثيفة الأشجار، وكثرة الأنهار والينابيع التي كانت تتخللها، وكذا بعض الأنواع الحيوانية، وقد وفر هذا الطابع المناخي الظروف المناسبة لصناع الحضارة العاترية وهم أشباه النياندرتاليين حسب ما خلصت إليه الدراسات للاستقرار بها.

ونظرا للتميز الكبير لصناعات الأدوات الحجرية القديمة في المنطقة، فإن الباحثين يعتبرون أن الحضارة العاترية هي أقدم أنموذج على التنوع التكنولوجي الإقليمي. فبالإضافة إلى انتشارها الواسع فهم يرجحون أن تكون عدة فروع حضارية صغيرة كالوهرانية والقفصية قد انبثقت عنها، حيث بدأت دائرتها تتوسع لتشمل أول الأمر كامل البلدان المغاربية، ثم توسعت حدودها لتغطي المجال الجغرافي الممتد من المحيط الأطلسي غربا إلى نهر النيل شرقا ومن شواطئ البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى شمال النيجر والتشاد جنوبا. وقد تنوعت البقايا الحضارية التي عُثر عليها في موقع بئر العاترين أدوات حجرية كالصوان وبقايا رسوم ملونة على جدران الكهوف؛ كما تركت هذه الحضارة عددا من شواهد القبور المزينة بالرسوم. وتشير الدراسات إلى أن الإنسان العاتري اعتمد في غذائه في هذه المنطقة على الحيوانات وبعض أنواع الصدفيات والنباتات، واستعملها أيضا كوسيلة للتداوي، ووظف أخشاب غاباتها في بناء المساكن وصناعة الأدوات التي احتاج إليها في حياته اليومية. ومع هذا التطور الذي احرزته الحضارة العاترية إلى أنها لم يكتب لها البقاء طويلا إذ سرعان ما اضمحلت، وقد أرجعت المصادر هذا الاضمحلال إلى تغير الظروف المناخية، حيث أعقب فترة ازدهارها مناخ جاف مس هذه المنطقة خاصة والصحراء الأفريقية عامة مما دفع أصحاب هذه الحضارة الذين يعتمدون في حياتهم على الصيد والزراعة إلى الهجرة إلى مناطق أخرى بحثا عن ظروف الحياة، منها الصحراء وبلاد الساحل وبعض مناطق إفريقيا الاستوائية. وربما يكون العاتريون قد واصلوا زحفهم جنوبا إلى غرب إفريقيا فوصلوا إلى موريتانيا والسنغال. لقد استمرت الحضارة العاترية في الوجود حتي العصر الحجري الحديث حيث توقفت وحلت محلها الحضارة القفصية.

أدوات حجرية عاترية، أهم ما يميزها عن غيرها السيقان الجميلة التي تعبر عن تطور ملحوظ في الصناعة الحجرية



5-الحضارة القفصية:

تعرف مواقع الحضارة القفصية بالرماديات وهي تلال صغيرة يتراوح علوها ما بين 1 و 2 متر، ويمكن أن يصل طولها في أقصى الأحوال إلى 150 متر، ويقدر عرضها بحوالي 80متر، وهي تمثل في مجموعها تراكمات تاريخية لبقايا التجمعات البشرية القديمة، مكونة من عناصر رمادية، وأدوات حجرية، وعظام الحيوانات، وقواقع الحلزونية، ورغم أن اكتشاف هذه الحضارة لأول مرة تم في المنطقة الغربية لتونس إلا أنها عرفت انتشارا واسعا في الجزائر، ومن أهم مواقع الحضارة القفصية في الجزائر نذكر عين عشة، عين دكار، الماء الأبيض، خنقة الموحد وتقع في ولاية تبسة، أما أهم مواقعها بمنطقة سطيف فهي: عين بوشريط، المجاز2، وتقع أهم مواقعها في المناطق الجنوبية ب: عين الناقة، زكار، دخلة السعدان، المرموطة، الحويطة ونجد في منطقة تيارت الموقعين التاليين: نجد عين كده، كلومناطة. وتتميز الأدوات الحضارية القفصية المكتشفة بمنطقة تبسة والتي يعود تاريخها إلى نهاية الألفية السادسة قبل الميلاد بأشكالها الهندسية وبمادتها الحجرية المستعملة غالبا في صناعتها .

يعتقد أغلب الباحثين أن الإنسان القفصي قد عاش حياة مستقرة، ويعتقد البعض الآخر أنه كان يعيش حياة ترحال موسمية. وقد وقع الباحثون لفترة طويلة في ضرب من الخلط والالتباس بين إنسان الحضارة القفصية وإنسان مشتي العربي، إلا أنهم، مع ذلك، أدركوا أن الأمر يتعلق بنوع آخر من البشر الذين عاشوا في العصر الحجري الحديث، كما دلت عليه بقايا العظمية التي عثر عليها في موقع عين مترشم، وقد تبين لهم اعتمادا على بقاياها المكتشفة في مواقع استقراره أن هؤلاء البشر كانوا يمارسون نشاط الصقل والنحت وصناعة رؤوس السهام، والفخار، والزراعة، وتربية الحيوانات.

نماذج عن أدوات حجرية قفصية وجدت بالجزائر: شفرات حجرية قفصية

